

نماذج من كتابات حول الأمير فخر الدين المعني الثاني

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

كان [الأمير فخر الدين المعني الثاني] ذا ذهن متوقّد وشجاعة فائقة الحدّ، وكان متضلّعًا بعلم الفلك والهيئة ويحسن الإيطالية، وقد ترجم بعض الكتب إلى اللغة الغربيّة وكان مُغرّمًا بفن التصوير وبالحدائق وبتشييد القصور الكبيرة.

الخوري لويس الخازن،

نقلًا عن مقالة "رأي مؤرّخ فرنسيّ في الدور وديانتهم وفي الأمير فخر الدين المعني سنة ١٦٤٦"، مجلّة المنارة، جونيّه، العدد ١، (السنة ٣، كانون الثاني ١٩٣٢)، ص ٢٧٩-٢٨٣.

###

ولم يحفل المؤرّخون بأمير غيره مثلما احتفلوا به فوصفوه على اختلاف لغاتهم ومبادئهم وأجناسهم وأماكنهم وأوقاتهم بكتب كثيرة يندر اليوم وجودها بين أيدينا ويصعب على البحّاثّة الوصول إليها [...] ولقد كان عهد فخر الدين عهد عظمة ومجد في حلّه وترحاله فعاصره الباباوات والسلاطين العثمانيّين [...] واتّصل ببعضهم وتعارفوا أو راسلهم وفأوضهم ذلك فضلًا عمّن زاروه من قناصل وبعوث وأمراء وتجار ورحالة حتّى كانت قصوره في بيروت وصيدا ودير القمر محطّ رحال الغرباء والنزّار فيكرم متواهم ويحسن قراهم على عادة أسلافه العرب حافظًا جوارهم ووافيًا بعهوده معهم شأن العربيّ الصميم بمزاياه المعروفة [...] هذا هو فخر الدين المعني الذي أعجب به الملوك والأمراء في الشرق والغرب وفاق صيته وخشي بطشه الولاة العثمانيّون والقبائل والتفتّ حوله أمراء العرب وشيوخهم وأعيانهم [...].

عيسى اسكندر المعلوف،

من كتاب تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، مطبعة الرسالة اللبنيّة، جونيّه، ١٩٣٤، ص ٤٢٠-٤٢٣.

###

كانت الديار قد درست بعواصف الحن معالمها، وعفت برياح الإحن مراسمها، لما اعتلاها من ظلام الظلم والجور [...] إلى أن منّ الله بدولة مؤبّدة ونعمة مخلّدة إلّا وهي الدولة المعنيّة، وولّى عليها [...] الأمير فخر الدين [...] فأمنت به الطرقات، ونجّت به النفوس من الهلكات، وعمرت البلاد [...] وساد العدل في الرعيّة، ورضيت بأقواله وأفعاله البريّة [...].

أحمد بن محمّد الخالدي الصفدي،

من فاتحة كتابه تاريخ الأمير فخر الدين المعني، عُني بضبطه ونشره وتعليق حواشيه ووضع مقدّمته وفهارسه، بعنوان لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني، الدكتور أسد رستم والدكتور فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٦٩، ص ١-٢. وكان الخالدي قد تناول في تاريخه هذا أبرز أحداث فخر الدين بين ١٦١٢ و ١٦٢٤، وذلك قبل وفاة المعني بأثني عشرة سنة.

###

فخرُ الدين المَعُ أمرائنا، وأعزُّ رجالنا، وأمنعُ أبطالنا، [...] هو رجل رؤيا وصاحب رسالة وباعث نخضة وبطلٌ ملاحم... أرسى قواعدَ المدنيّة بالعلوم والفنون على أسس الحرّيّة...

عزيز الأحذب،

من مقدّمة كتابه فخر الدين مؤسس لبنان الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣، ص ١٥.

###

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور، رفقًا بذكريات الأمير !
ببقايا حُلْمٍ تَفَوَّقَ بالصبح، وألوى؛ فالصبحُ مأتَمُ نور؛
فيه من وثبة الجريحِ إلى الثّار، وفيه من احتضار النسور.

هو فخرُ الدين، الفتى، يقرأُ الأيّامَ في قولِ خازنيّ وقور؛
فَيرى الأَمَسَ من مذابحِ حُمُرٍ، نافراتٍ على مَرِّ الدّهور؛
جدّه، قبلةُ الشّمس، قتيلاً؛ وأبوه، دُنيا أسي، في حفير؛
والدُّروزُ الأباةُ يغويهم السَّيفُ، فيلقونه رحابَ الصدور؛
وإذا وجه عين صوفر أشلاء، وآفاقها بِلَوْنِ الزَّفِيرِ؛
فَيَغضُ الأميرُ طرفًا، ويخفي، خلفَ جفنيه هزّةً للعصور.

سعيد عقل،

من قصيدة كُتبت بمناسبة مرور ثلاثمئة عام على مقتل الأمير فخر الدين الثاني في الآستانة، مجلّة المشرق، بيروت، العدد ٤، ١٩٣٥، ص ٥٢٣-٥٢٧؛ وكتاب سعيد عقل، كما الأعمدة، بيروت، ١٩٧٤.

###

اتّسمت حياة فخر الدين بالشجاعة والبسالة حتّى في أوائل عمره. وعندما أصبح الحاكم المطلق قفز بسرعة إلى عالم الصدارة. على أنّه سار بتؤدّة في أوّل عهده، إلى أن دفعه طموحه لتوسيع حدود بلاده. عندئذٍ ابتداءً في تعبئة جيش مجيّد من السكبان [المرتزقة] وراح ييسط سلطانه بسرعة على مقاطعة كبيرة يدخل في حدودها صيدا، وصفد، وبيروت، وكلّ المناطق المتعلقة بها كالشقيف [المغارة]، وكسروان، والمتن، والغرب، والجرد.

فرديناند فوستنفلد،

من كتاب فخر الدين أمير الدروز ومعاصروه، ترجمه إلى العربيّة بطرس شلفون، تقديم حارث البستاني، بيروت، دار لحد خاطر، ١٩٨١، ص ١١٠.

###

من التراث الذي تركه الأمير لخلفائه، وجعلناه عبرةً للحكّام اليوم، ما دعونا به بالحكم الصالح. ويقوم بوضع الرجل الصالح في المكان الصالح. ولا يتمّ ذلك إلّا لذي المعرفة بالرجال، وذي النية الخالصة في استخدام هذه المعرفة في مصلحة الوطن. وقد اجتمع الأمران للأمير الكبير. فكانت مصلحة لبنان في نظره فوق كلّ مصلحة.

هكذا كان في توزيع عمّاله في المقاطعات، وفي تعيين رجاله في المناصب، وفي السهر على تكوين جيشه الرادع، الذي صدّ أكبر قوّة عسكريّة في الشرق في تلك الأيام، ألا وهي الدولة العثمانية.

د. فؤاد افرام البستاني،

من فصل بعنوان "تراث الأمير فخر الدين" في كتاب فرديناند هنريخ وستنفلد فخر الدين أمير الدروز ومعاصروه، ترجمه إلى العربيّة بطرس الشلفون، تقديم حارث البستاني، تحقيق فؤاد افرام البستاني، بيروت، دار لحد خاطر، ١٩٨١، ص ١٩٣-٢١٥.

###

يا احراشنا حوزي يا جبالنا غني
فرسان لبنان ع خيول البحر جايين
يا يوم فخر الدين يا رجعة السيف
يا رجعة الغار يا سنين الكبر يا سنين

من الجبل الهدية سيف ومدّهب السيف
قاطع مثل العدل معني مثل التواضع
ونحدو الفاصل بتخلص لبنان

الأخوين رحباني،

من مسرحية أيام فخر الدين، عُرضت هذه المسرحية للمرة الأولى
ضمن مهرجانات بعلبك، ١٩٦٦؛ صدرت في كتاب بالعنوان نفسه
عن ديناميك جرافيك للطباعة والنشر، تنسيق وتقديم هنري زغيب،
جونيّه، ٢٠٠٥؛ هذه الأبيات مأخوذة من المسرحية، ص ٢١، ٢٤.

###

تُعدّ رحلة الأمير فخر الدين المعني الثاني من الوثائق النادرة في باهيا؛ فهي من أقدم المدونات العربية
التي وصفت جوانب مهمة من مدنيّة أوربا في مطلع القرن السابع عشر، حيث أنّ بعض المدن التي
زارها المعني، أو أقام فيها، شهدت بدايات النهضة الأوروبية الحديثة التي عمّت آثارها فيما بعد
أرجاء المعمورة كافة... وما يزيد من أهمية هذه الرحلة أنّ صاحبها رجل دولة محنك، ومحارب لا
يُشقّق له غبار؛ إذ لم يتوان عن الوقوف في وجه أكبر إمبراطورية في الشرق، ليس جبا منه بالحرب،
بل دفاعاً عن شعبٍ أرهقته المظالم، وأنهكته الحملات العسكرية المتوالية التي شنّها عليه الحكام
والولاة العثمانيون...

قاسم وهب،

من مقدّمته لكتاب رحلة الأمير فخر الدين إلى إيطاليا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص
١٣-١٤.

###

كان الأمير فخر الدين قد ازداد شوكةً في استيلائه على كثير من القلاع وتحصينها [...] ثمّ رحل إلى إيطاليا تاركًا الحكم في لبنان لابنه علي. وعندما رجع بعد خمس سنوات قويّت كلمته وعظّم شأنه في البلاد [...] فكسر الثائر المعنيّ الجيش العثمانيّ في وقعتين قرب صَفَد، ثمّ انكسر في وادي التّيم [...] فسلم نفسه إلى الوزير العثمانيّ فأسِرَ ثمّ أمر بقطع رأسه [...] هو فخر الدين الكبير، علّمُ الوطنيّة الحقة ومشعلها الأوحده في تاريخنا الحديث.

أمين الريحاني،

المؤلفات العربيّة الكاملة (تحقيق وتقديم أ.د. أمين ألبرت الريحاني)، الطبعة الأولى، كتاب النكبات، المجلد الخامس، م ر ٩٢-٩٣، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٦.